المفاهيم المتعلقة بالمنهج النقدي في الفكر العربي المعاصر

(*) الدكتورة: رحمة محمد اصميدة

المقدمة:

الحمد لله فاتح كل خير وتمام كل نعمة , والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .وبعد ,,

يختلف المنهج النقدي في الفكر العربي المعاصر عنه في الفكر الأوروبي فإذا كانت الممارسة في الغرب الأوروبي تعتبر تقليداً راسخاً تدعمه التقاليد السياسية وترسخه المنظومات الفلسفية منذ عصر النهضة فإن الأمر يختلف عندنا في العالم العربي فالنقد يعتبر في العادة أداة هدم وتقويض وتغفل جوانبه الإيجابية البناءة .

ويتراءى لبعض الدارسين أن الاهتمام بدراسة المناهج قبل الخوض في الدراسات التجريبية يعد بمثابة مغامرة ميثافيزيقية عقيمة والحقيقة - في اعتقادنا - أن العكس هو الصواب فمع غياب كل المنهج الذي يحكم تحصيلنا للمعرفة والمعيار العلمي الدقيق تقع الدراسات التجريبية ذاتها في خطر المغامرة الميثافيزيقية , وهذا ما يتطلب عند دراسة المنهج النقدي لمفكر ما إلى العودة إلى نشأتهم واهتماماتهم لأن كل ذلك ينعكس على مناهجهم النقدية مما يؤدي إلى زيادة الصعوبات للتفاعل والمزج مع المناهج القديمة بالجديد .

وهذا المزج يدفع الفلاسفة إلى مراجعة المناهج النقدية القديمة وتتبع ما أظهرته المدارس النقدية الحديثة .

مشكلة البحث :

والذي يعرض لدراسة المفاهيم المتعلقة بالمنهج النقدي في الفكر العربي المعاصر , تعترضه مسألة وضع ضوابط دقيقة لتصنيف المناهج النقدية , بل وحتى مناهج العلوم الاجتماعية والطبيعية , إذ نجد تفاوتاً كبيراً في الأسس التي يعتمدها مختلف الفلاسفة والمفكرين والباحثين والنقاد في تصنيف المناهج .

حدود البحث :

اقتصرت هذه الدراسة على المفاهيم المتعلقة بالمنهج النقدي في الفكر العربي المعاصر .

حدود هذه الدراسة تشمل :

أ- مفهوم النقد . ب- مفهوم الفكر العربي المعاصر .

*عضو هيئة تدريس بكلية الآداب – الجامعة الأسمرية الإسلامية.

أهداف البحث :

- تهدف هذه الدراسة إلى معرفة المنهج النقدي وأهميته وظهوره في الفكر العربي المعاصر .
- وتهدف كذلك إلى تجاوز مرحلة رصد وتسجيل الآراء إلى النقد والتحليل وعدم الاكتفاء بمجرد القبول أو الرفض للفكرة , سواء كانت خطأ أم صواباً .

أهمية البحث :

إن دراسة الفكر العربي المعاصر دراسة شاملة بمنهج عقلاني تحليلي نقدي أصبحت اليوم من أبرز المهام التي ينبغي أن يتصدى لها العرب بصفة عامة , والمشتغلون منا بالفلسفة بصفة خاصة وذلك التصدي لجذور التخلف والاضطراب التي تغديها الاتجاهات الأيدولوجية السائدة ولتسويق روح العقلانية والنقد والإبداع في فكرنا العربي المعاصر .

منهجية البحث :

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تعدد مناهجها :

فقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي في رصد الأفكار والآراء وتحليلها من خلال النسق الفكري الذي تنتهي إليه , ومحللاً لعناصرها وأسسها .

واستخدمت المنهج النقدي الذي لا يكتفي بالتسليم المجرد وإنما يناقش ويقوم وينقد ويتبنى ويرفض للوصول إلى أرجح الأقوال المدعمة بالأدلة .

والمنهج المقارب له دور أساسي مع التحليل والنقد وينقسم هذا البحث إلى مقدمة وخاتمة ومبحثين هما : *المبحث الأول : مفهوم المنهج النقدي*

المبحث الثاني : مفهوم الفكر العربي المعاصر

الخاتمة

والخاتمة هي عبارة عن خلاصة البحث أو النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

❖ مفهوم المنهج النقدي:

عرف النقد الحديث والمعاصر مجموعة من المناهج النقدية وذلك بفضل الثقافة والترجمة والاحتكاك بالغرب، ومِنْ بين هذه المناهج: المنهج البنيوي، والمنهج التفكيكي، والمنهجالسيميولوجي الذي ظهر في أواخر الستينيات[1].

و(**المنهج**) "method" معناه العام هو: الوسيلة - أو الطريقة - التي توصلنا إلى هدفٍ محدد، وهو في معناه الخاص: طريقة الباحث في تحصيل المعرفة؛ كما أنه معيار لها من حيث حقيقة

(1) رامان سلدن : النظرية الأدبية المعاصرة،ص 117.

مطابقتها للقوانين الموضوعية التي تحكم تطور الواقع[2]، وتبعا لذلك فالمنهج نوع من التفكير على أساسه تتكون أيديولوجية أيّ مجموعة من القيم.

ويتراءى لبعض الدارسين أن الاهتمام بدراسة المناهج قبل الخوض في الدراسات التجريبية يُعد بمثابة مغامرة ميتافيزيقية عقيمة، والحقيقة - في اعتقادنا - أن العكس هو الصواب، فمع غياب كل من المنهج الذي يحكم تحصيلنا للمعرفة والمعيار العلمي الدقيق تقع الدراسات التجريبية ذاتها في خطر المغامرة الميتافيزيقية، وهذا ما سيرجعنا عند دراسة المنهج النقدي لمفكرينا إلى نشأتهم واهتماماتهم لأن كل ذلك انعكس**على**مناهجهم النقدية مما أدى إلى زيادة الصعوبات للتفاعل والمزج بين المناهج القديمة والجديدة، وهذا المَزْج سوف يدفعنا إلى مراجعة المناهج النقدية القديمة وتتبع ما أظهرته المدارس النقدية الحديثة.

إنَّ أبرزَ مَنْ سَلَّطَ الضَّوْءَ على مصطلح المنهج في الفلسفة الفيلسوف الفرنسي ديكارت الذي قدَّمَ تحديدات دقيقة ومهمة لمفهوم المنهج وبشكلٍ خَاصٍّ في بحثه "خطاب في المنهج" والذي يُترجم في الغالب بـ "مقال في المنهج"، والذي كان هدفه فيه إقامة منهج عام للبحث عن الحقيقة مهما كان المستوى أو الميدان الذي تُبحث فيه هذه الحقيقة[3].

ولو توقفنا أمام التعريفات التي تعتمدها بعض المعاجم والموسوعات لوجدنا عناصر تَمَاثُل وعناصر افتراق ناشئة أساسا عن الموقف الفكري نفسه؛ فِـ "موسوعة الفلسفة" التي حررها "بول إدواردز" تُشير إلى أن كلمة المنهج في اللغات الأوروبية من أصل إغريقي قديم يعني الطريق، وهو يشير إلى الخطوات المحددة التي يجب أن تُتَّخَذَ ضمن نسق معين لتحقيق غاية معينة، أما طبيعة الخطوات وتفاصيل الخصوصية فتعتمد على الغاية المتوخاه وعلى تنوع طريق التحقيق.

وهذا تعريفٌ مدرسي أو أكاديمي محايد يلتقي مع عددٍ آخر من التعريفات المدرسية منها التعريف الذي يعتمده "المعجم الفلسفي" الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث يرى أنَّ المنهج بوجه عام "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"، ويُولي هذا المعجم اهتماما أكبر بتحديد مصطلح (المنهج العلمي) بأنه هو "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"[4].

ونجد تحديدا آخر مُهمًّا في كتاب "مفاهيم في الفلسفة والاجتماع" ينحاز فيه واضعه إلى المنهج الاستقرائي في البحث إذ يري أن "المنهج قُوامه الاستقراء، ويتمثل في عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب، ثم وضع الفروض التي تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يُبحث عنها،

---

(2) محمد لخضر زبادية: من أعلام النقد العربي الحديث والمعاصر، ص5.

(3) محمد وقيدي: ماهي الإبستمولوجيا، ص109.

(4) المعجم الفلسفي، ص195.

وتنتهي بمحاولة التحقق عن صدق الفروض أو بطلانها توصلا إلى وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر وتوحّد العلاقات بينها".

ويتبين لنا من التحديدات السابقة اتساع تعريف "المنهج" ليتصل بحقول معرفية أخرى كالفلسفة والعلم والنظرية والإبستمولوجيا، وهو أمر له خطورته الكبيرة، لأن المنهج يجب أن يظل بمنأى عن التحول إلى واحد من هذه الحقول أو غيرها، كما يحدث حاليا بالنسبة لبعض المناهج النقدية التي تتحول إلى علم تارة وإلى فلسفة أو أيديولوجيا تارة أخرى، والواقع أن الباحثين بحاجة إلى فضّ الاشتباك الحاصل بين مصطلح "المنهج" وبقية المفاهيم والمصطلحات المتقاربة.

أما بالنسبة لمعني (**النَّقْد**) فجاء في "المعجم الوسيط" أنَّ النقد: "فن تمييز جيد الكلام من رديئة، وصحيحة من فاسدة"[5]، المعرفة النقدية العربية قد أخذوها من لغة الصيارفة العرب الذين كانوا يختبرون العملة الفضية (الدرهم) بتنقادها أهي زائفة أم صحيحة؟ فالأصل في المعنى الأول للفظ: "النقد: هو تمييز الدراهم، وإعطاؤها إنسانا، وأَخْذُهَا: الانتقاد ... ... ونقدتُ الدراهم وانتقدتها إذا أخرجتُ منها الزَّيْفَ"[6]، فمعنى النقد في المصطلح الأدبي العربي القديم كان يعني تمييز شيء من شيءٍ آخر، أو اختبار حقيقة شيء لمعرفة قيمته، ومِنْ ثَمَّ لتجنب الوقوع في خديعة مادية (تنقاد الدرهم لاختبار زيفه من صحته)[7].

ولا خلاف بين الناقدين حول ماهية "النقد" في كونه عملية لها حقيقتها وقواعدها وشروطها وأنواعها، إنها عملية متعلقة بالفهم والسلوك الاجتماعي لكون هذا الأخير هو جانب من نتائج الفهم الغالب، لذا اعتبر النقد موضوعا وأساسا لكل تفكير يسعى إلى تحسين وضعه ومستوياته في سائر الميادين، والنقد يعمل في أكثر من اتجاه؛ الأول: اتجاه إلى كشف الأساس الفلسفي لأكثر التصورات والاتجاهات الاجتماعية، والثاني: هو كشف الأساس الواقعي لأكثر الاصطلاحات والمفاهيم والكلمات الفلسفية تجريدا وغيرها، والاتجاه الأول للنقد يزيد من إيجابية الاتجاه الثاني[8].

لكن الأمر يختلف عند النقاد أنفسهم؛ يقول علي حرب: "نقد أو نقض القراءة الحرفية لا يعني تبنِّي القراءة المقابلة لها والدفاع عنها، ونقصد بها القراءة التي تقوم على انتقاد روح النص بالبحث عن معانيه الجوهرية، أو الكشف عن دلالاته الأصلية، أو الوقوف على مقاصده الخفية، وأهل هذه

---

(5) المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، نقد، ص 944.

(6) ابن منظور: لسان العرب، نقد، ج3، ص425.

(7) عبد الملك مرتاض: الكتابة التحليلية بين التراث والحداثة، ص ص 170- 186.

(8) محمدأوغانم: الفكر العربي من خداع الكلمة والفعل إلى ضرورة مراجعة النقد، ص243.

القراءة يعتبرون أن المعنى لا يكون ظاهرا بذاته بَيِّنًا بنفس عباراته الأولى، بل يحتاج دوما إلى إعمال واستقصاء، أو إلى استخراج واستنباط فالمعنى في نظرهم ليس صريحا ... ..."[9].

والناقد لا يعيش بمعزل عما يموج به عصره من مشكلات، والعملية النقدية في صميمها عملية تجريدية، والناقد البصير هو الذي يفحص كل ما يقع تحت يديه، ومن هنا نستطيع أن نلمس التشابه بين العملية النقدية والعملية الفلسفية[10]؛ فهما يلتقيان في أنهما يتجاوزان السطح ويتجهان إلى العُمق بحثا عن الجذور المستنبطة في الظاهر الذي تراه العيون؛ ولكن التفكير الفلسفي قد يتحرك في اتجاه أفقي كما هو الشأن في التحليلات المنطقية فكذلك النقد أيضا وذلك عندما يشغل الناقد نفسه بنقد فكر معين[11].

وأيا كان الشأن فإن النقد لا ينبغي له أن يكون فلسفة، ومن أجل ذلك سمي نقدا، وإنما يحاول أن يستعير من مناهج الفلسفة (التقويضية) أو (التفكيكية)[12]، وبالنسبة للنزعة النقدية القائمة على الإجراء التقويضي الذي أَصَّلَهُ جاك دريدا بعد أن استوحى أصولها من الفلسفات الماركسية والفُرويدية بعض مناهجها للتنظير للإبداع ورصد مظاهره، فقد يكون المنطق في الفلسفة والنقد متشابها، وقد يكون المنهج في بعض المظاهر غير متعارض ولا متناقض، ولكن ذلك كله لا يكاد يجاوز المنطلق والمظهر والمسعَى إذ سَرْعَان ما يجنح النقد نحو الإبداع وأجناسه ليبحث في خصوصيته وخياليته وشكليته وأدبيته من خلال كل ذلك[13].

❖ ب- مفهوم الفكر العربي المعاصر:

الفكر مفهوم مجرد، أو التفكير هو مُجْمَل الأشكال والعمليات الذهنية التي يؤديها عقل (ذهن) الإنسان والتي تمكنه من نمذجة (خلق نموذج) العالم الذي يعيش فيه، وبالتالي تمكنه مِن التعامل معه بفاعلية أكبر لتحقيق أهدافه وخططه ورغباته وغاياته.

هناك العديد من المصطلحات المرتبطة بمفهوم الفكر أهمها: "الإدراك"، "الوعي"، "شدة الإحساس"، "الفكر"، "الخيال".

وعملية التفكير تتضمن أيضا التعامل مع المعلومات كما في حالة صياغتنا للمصطلحات، والإسهام في عملية حل المشكلات، والاستنتاج واتخاذ القرارات. ويعتبر التفكير أعلى الوظائف

---

(9) علي حرب: نقد الحقيقية، ص7.

(10) محمد عزت عبد الموجود وآخرون: أساسيات المنهج وتنظيماته، ص9.

(11) مصطفي عبد الغني: زكي نجيب محمود، ص ص137- 138.

(12) عبد الملك مرتاض: نظرية التقويض(مقدمة في المفهمة والتأسيس)، ص 34.

([13]) Irene Rima Makaryk: *Encyclopedia*Of Contemporary literary Theory: Approaches, p

الإدراكية التي يندرج تحليلها وتحليل العمليات التي تسهم في التفكير ضمن إطار علم النفس الإدراكي cognitive psychology [14].

يمثل الفكر في حياة الإنسان الثقافية والحضارية والتاريخية العامل المحرّك الذي يشكل الإنسانية بكل أبعادها في الفرد ويبني المجتمع والدولة والأُمة، ويحرك التاريخ ويصنع الحضارة، ومِنْ دون الفكر يبقى الإنسان رهينة لا تشغله إلاّ شهوته، حبيسَ حاضره، لا تهمه إلا لحظته الراهنة، لكنّه مخلوق مُكرّم بالعقل وقوى أخرى لا تحصى، بها صار على ما هو عليه الآن من رفعة وسؤدد وسيطرة وتحكّم.

والفكر يصنع الإبداع بشقّيه الكشفي والاختراعي، والإبداع قوّة لم تُؤتَ لغير الإنسان ترتبط بالفكر، تُطوّره وتُجدده باستمرار، والتقدم الذي أحرزه الإنسان في جميع ميادين الحياة عبر العصور وانتهى إلى ما يسمى بالثقافة والحضارة هو نتيجة للتقدم الفكري والعلمي والتقني الناتج عن قدرة الإنسان على الوصول إلى الجديد في النظر والعمل، وذلك هو عين الإبداع وجوهره، ولولا الإبداع ومن ورائه الفكر لبقيت الإنسانية على حالتها البدائية الأولى ولم تعرف الرقي والازدهار الحضاري[15].

والفكر يتنوع ويتعدد؛ بتنوع وتعدد بيئات الشعوب والأقوام والأمم والمجتمعات الجغرافية والسياسية وغيرها، وبتنوع الثقافات والحضارات والفلسفات والديانات في هذه البيئات، ويتعدد بتعدد مجالات الحياة التي تتميز بالتنوع والتداخل داخل المجتمع الواحد والبيئة الواحدة والحضارة الواحدة ثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا وفلسفيا وعلميا، يتنوع بتنوع الوعي التاريخي والظروف التاريخية التي تعرفها الإنسانية عبر الحِقَب التاريخية المختلفة التي تمرّ بها جماعاتها، الأمر الذي جعل بحوزة الإنسان أنواعا وأنماطا وأشكالا شتى من التفكير ذات معايير شتى في تصنيفها يعجز الإنسان عن الإلمام بها جميعا في وقتٍ واحد[16].

الفكر العربي نوع من أنواع الفكر الذي عرفه تاريخ الإنسانية، له منظوماته وخصوصياته، ارتبط الوجود العربي وبالوجود الإسلامي وتطوّر عبر العصور متأثرا بسائر التحوّلات التي عرفها الإنسان في حياته، يتحدد بالتراث الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية - المنظومة التأسيسية - وما انبثق عنهما من منظومات فكرية وعلمية وفلسفية منذ القِدَم حتى الآن، كما يتحدد بالتراث العربي متمثلا في ديوان العرب قبل الإسلام، وفي سائر عناصر الثقافة العربية الفكرية والدينية والأخلاقية والسلوكية التي جاءت وتطوّرت بعد الإسلام إلى يومنا هذا، ويتحدد

---

(14) Issa J. Boullata: Trends and Issues in Contemporary Arab Thought, p 89.

(15) Elizabeth Suzanne Kassab: Contemporary Arab Thought: Cultural Critique in Comparative Perspective, , p 65.

(16) إدريس هاني: ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، ص33.

كذلك بما أفرزه امتزاج التراث العربي بالتراث الإسلامي وبالفكر الإنساني القديم والحديث والمعاصر وبمشكلات وتحدّيات العصر الحاضر وتحوّلاته في الوقت الراهن[17].

ونحتاج في هذا العرض إلى التعرض لمدلول "**الفكر العربي المعاصر**" من حيث كونه عربيا، ومن حيث كونه إسلاميا، ومن حيث هو منظومة فكرية عربية إسلامية فيها العناصر الذاتية المحلية وفيها الكثير من الجوانب الإنسانية المشرقة وغيرها ذات الطابع العالمي الشمولي العام، ونتعرض لتياراته الكبرى التي انبثقت من التواصل بين الموروث والوافد وتأثرت من دون شك بما يجري في العصر من مستجدّات ومتغيّرات في كل مستويات الحياة، ونتعرض لمدارسه الفلسفية المختلفة التي ارتبطت هي الأخرى في نشأتها واستمدادها بالتيارات الفكرية وبالموروث والوافد، ونتعرض للتحدّيات التي تواجهه وتحوّلات العصر[18]، وللآثار والتداعيات والانعكاسات التي خلّفتها تحوّلات العصر وتوجّهاته، ونشير بصفة عامة ومن وجهة بعض المفكرين في العالم العربي والإسلامي إلى السبل الكفيلة بحل المشكلات وتجاوز الصعوبات وتمنع انعكاسات تحوّلات العصر الخطيرة، وتضمن معادلة متوازنة تجمع الحداثة والتحديث والتراث وتسمح للفكر العربي الإسلامي بالتطور والازدهار والإسهام في بناء حضارة عصره دون أن يتخلّى عن خصوصياته.

أما "**الفكر العربي**" وكونه **عربيا** فالفكر هنا مرتبط في أساسه باللّغة العربية وبالثقافة العربية وبالعنصر العربي بالدرجة الأولى، أي بالعروبة عنصرا ولغة وثقافة وجغرافيا، وبكل ما يخص العرب وحياتهم في العصور القديمة وفي العصر الحديث وعصرنا الحاضر، ويشمل الفكر العربي إسهامات العديد من المفكرين الأعاجم التي جاءت باللغة العربية، على أساس أنها لغة القرآن والسنّة أسست لحضارة عربية إسلامية مزدهرة وقوية، وارتبطت قبل ذلك بثقافة عربية قوية تمثلت مظاهرها في فنونأدبية نثرية وشعرية، وفي ألوان أخرى من الفكر والثقافة والديانات، بعضها عرب يصرف وبعضها دخيل بفعل احتكاك العرب بغيرهم من شعوب العالم عن طريق الأسفار والتجارة والغزوات والحروب وغيرها.

ويشمل المعطى الثقافي والفكري والديني والأدبي لدى العرب قبل الإسلام عدة اتجاهات أهمها: الديانة اليهودية والديانة المسيحية ومذهب الصابئة(الديانة الإبراهيمية)، ومعطى الثقافة العربية المتمثل في ديوان العرب، بالإضافة إلى اللغة العربية والتاريخ والكثير من المعتقدات والأفكار التي استوعبها الإسلام وهذبها وأصبحت من جوهره وروحه[19].

---

(17) شاكر فريد حسن: الفكر العربي المعاصر ومشروع حضاري نهضوي وتنموي حداثي عربي، ص56.

([18])Wajih I. Saadeh: History of Arab Thought, p 25.

(19) حليمبركات: المجتمعالعربيالمعاصر، ص٨٠.

كما يشمل ما هو عربي تطوّر عبر العصور الإسلامية والعصور الوسطى، خاصة ذلك الذي ارتبط بالبيئة العربية ويحمل خصوصيات عربية، ولما دخل عليه العصر الحديث تفاعل معه في توافق ووئام وانسجام في حينٍ، وفي تنافر وتباين واصطدام في حينٍ آخر، حتى جاء العصر الحاضر الذي أصبح فيه الفكر العربي يُطْلَقُ على أي إنتاج فكري وثقا في للعرب واللغة العربية وللبيئة الثقافية العربية نصيب فيه[20] في العصور القديمة وفي العصر الحديث وفي عصرنا الحاضر، سواء أكان الإنتاج الفكري والثقافي العرب يصرفا في عروبته أو ممزوجا بغيره.

وقد ارتبط الفكر العربي بالإسلام عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، ولاتصاله بالثقافة الإسلامية وبحياة المسلمين وبسائر التطورات التي عرفتها هذه الحياة منذ مجيء الإسلام إلى اليوم خاصة وأنّ قوّة الإسلام ومناعته وفي المقابل هشاشة المعتقدات والديانات والثقافات الأخرى جعل الإسلام ينتشر بسرعة ويُقبل عليه الناس مجتهدين في تكييف معتقداتهم وثقافتهم وفلسفاتهم مع المعتقدات والتعاليم الإسلامية، أو متخلين عنها مندمجين تماما في الحياة الإسلامية، وارتبط الإسلام والفكر الإسلامي باللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم ولغة الديانة الإسلامية ولغة التعبد في هذه الديانة، فاحتضن الإسلام الثقافة العربية التي سبقته بما في ذلك ديوان العرب، وقام بإصلاحها وتهذيبها[21]، فأصبحت الثقافة آنذاك مركّبَة مما هو عربي ومما هو إسلامي، والأمر نفسه ينطبق على الفكر في تلك الحقبة، الفكر الذي ازداد اتساعا وازدادت معه الثقافة غنى وثراء.

أما "**<u>الفكر العربي المعاصر</u>**" وكونه **<u>معاصرا</u>** فهذا يدل دلالة واضحة على أنّ الفكر متغير ومتطور تاريخيا وباستمرار عبر العصور، فهو مرتبط بالعصر الذي يتواجد فيه وبظروفه، ويتغير بتغير انشغالات واهتمامات ومشكلات العصر[22]، ولما كانت الغاية القصوى في صدر الإسلام التمكين للإسلام على أرض الله ونشر عقائده وتعاليمه، والدفاع عنها، وشرحها، وتوصيلها إلى الناس وبخاصة لأصحاب الديانات والثقافات والفلسفات الأخرى كالفرس والروم والإفرنج واليونان وغيرهم كثير؛ جاء الفكر بطابع عقلي جدلي يقوم على الحوار والمحاجة والجدل، ويستخدم الاستدلال العقلي المنطقي في إثبات عقائد الإسلام ودفع الشبهات عنها، وفي الردّ على الخصوم والمعارضين الذين هم من داخل العالم الإسلامي أو من خارجه، الطابع العقلي الاستدلالي المنطقي الفلسفي للتفكير في هذه الحقبة التاريخية عكسته الفرق الكلامية والاتجاهات الفلسفية[23].

([20]) Al-Azm, SJ: Thought by Journal OF Palestine studies, p70.

([21]) Kassab, Elizabeth Suzanne**:** Contemporary Arabthought: cultural critique in comparative perspective, pp 210-211.

(22) صالح جواد الكاظم: دور المفكر العربي في صنع التاريخ، ص141.

([23]) Michele F. Sciacca: Philosophical Trends in the Contemporary World, pp.55-65.

ولقد حدد بعضُ العلماء فترة الحكم العربي المعاصر بالقرنين التاسع عشر والعشرين؛ يقول الدكتور حسن حنفي: "ضم الفكر العربي المعاصر القرنين التاسع عشر والعشرين من دون تفرقة بين الحديث في القرن التاسع عشر وربما الثامن عشر في الحركة الوهابية في شبة الجزيرة العربية أو حركة الاستنارة العقلية لدي علماء الأزهر ممثلة في الشيخ حسن العطار - أستاذ الطهطاوي - وبين المعاصر في القرن العشرين"[24].

❖❖ وهناك العديد من تيارات الفكر العربي المعاصر أي تيارات ما قبل المنهج النقدي ومنها:

1. **التيار العقلي الإصلاحي:**

وقد أسس هذا التيار جمال الدين الأفغاني وتلاميذه (المباشرون وغير المباشرين): محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وحسن البنا، وسيد قطب، وغيرهم.

وقد بدأ هذا التيار في الأساس بمحمد بن عبد الوهاب في شبة الجزيرة العربية، لكنه تبلور وأصبح تيارا إصلاحيا بمعني الكلمة عند جمال الدين الأفغاني وتلاميذه السابق ذكرهم، ولم يكن هذا التيار فقط في شبة الجزيرة العربية أو في مصر بل امتد فكان في الشام تيارا إصلاحيا يعتمد على تحليل ظاهرتي الاستبداد والفتور، استبداد الحكام وفتور المحكومين.

ويتجلى فكر جمال الدين الأفغاني في رسالته في الرد على الدهريين، والتي يظهر فيها واضحا مبدأ التيار الإصلاحي عنده، وهو سعادة الأمم بأمور منها (صفاء العقول) من كدر الخرافات وصدأ الأوهام، وهذا ما سوف يتبناه بعد ذلك كتيار نقدي محمد عابد الجابري في "نقد العقل العربي" ففيه يقول[25]: "إن نقد العقل جزء أساسي وأولي من كل مشروع للنهضة، ولكن نهضتنا العربية الحديثة جرت فيها الأمور على غير هذا المجرى، ولعل ذلك من أهم عوامل تعثرها المستمر إلى الآن وهل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته ورُاه، كان المفروض إذن أن يكون هذا الكتاب مجرد حلقة في سلسلة طويلة من الكتب والأبحاث تمتد على مدى مائة عام، وفي هذه الحالة كان سيستفيد حتما من الأعمال السابقة له ... ...".

2. **التيار العقلي الليبرالي:**

مؤسس هذا التيار **رفاعة رافع الطهطاوي** في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، ويعني هذا التيار بدراسة العقلانية التي اشتقت مصادرها من فلسفة التنوير في الغرب، وبجوار رفاعة الطهطاوي يأتي **خَيْر الدين التونسي** وكتابه "أقوم المسالك"؛ فعند الطهطاوي "تقوم الشريعة الإسلامية على العقل والمصلحة، وعلى التحسين والتقبيح العقليين والاستصلاح، ومِنْ ثَمَّ لا تعارض بين التراث

---

(24) حسن حنفي: حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر، ص23.

(25) محمد عابد الجابري: نقد العقل العربي، الجزء الأول(تكوين العقل العربي)، ص5.

الإسلامي والتراث الغربي، .. وأن العقل والشرع كلاهما تأكيد على المعرفة الوجدانية والتجربة الحية، فالإنسان على الفطرة يعرف بالوجدان أولا، ثم تحصيل المعارف بالصدفة وبالإلهام وبالإيحاء، ومِنْ ثَمَّ يمكن أن تتقدم الأمتان - أمة الإسلام والأمم الغربية - الأولى بحكم الشرع، والثانية بحكم العقل، وكلاهما يقوم على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين"(26).

3. <u>التيار العقلي العلمي العلماني:</u>

ويمثل هذا التيار **شبلي شميل،وفرح أنطون، ونقولا حداد، ويعقوب صرّوف، وسلامة موسى، وزكي نجيب محمود، وفؤاد زكريا، ومراد وهبة**، ... ... وغيرهم، وهو يعني العقلانية التي ارتبطت بالعلم الطبيعي في الغرب الحديث، ففرح أنطون يؤصل لهذا التيار العلمي العلماني في كتابه "ابن رشد وفلسفته"، فهو يقدمه إلى العقلاء من الشرق وهم المفكرون والفلاسفة، "ويتم الاعتماد أساسا على فصل المقال لبيان اتفاق الدين والفلسفة وذلك عن طريق التأويل"(27).

وفي حين يرى محمد عبده أن الإسلام أكثر اتفاقا مع العلم والعقل والمدنية من المسيحية فإن فرح أنطون يرى أنه لا فرق بين الإسلام والمسيحية أو أي دين آخر في معادلة العقل والعلم والمدنية، بدليل وجود الخوارق والكرامات والمعجزات، وهو الجانب اللامعقول في كل دين(28).

إن أزمة الفكر العربي المعاصر والمشكلات إلى يواجهها تشمل النواحي السياسية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية والدينية، بالنسبة للمشكلة السياسية ترجع إلى تجزئة العرب واختلافهم، وأيضا لفساد أنظمة الحكم المتعددة، وبالنسبة لتجزئة العرب حاولَ كثيرٌ من المفكرين ذوي النزعة القومية حل هذه المشكلة فدعوا إلى الوحدة العربية ، لكن معظم التجارب لم تنجح وذلك يرجع إلى عدم نضوج الفكرة القومية والعجلة في تطبيقها، أما فساد الأنظمة فيرجع إلى أنواع الحكم المهيمنة على العالم العربي وهي أنواع مختلفة منها نظام ملكي أو قَبَلِيّ أو فردي أو عسكري أو نظام الحزب الواحد، وهذه الأنظمة تشوبها عيوبٌ مشتركة أهمها انعدام الحرية، وانعدام الشورى والعدالة، بالإضافة إلى انعدام المؤسسات الدستورية أو القانونية الحقة(29)، وهذه الأزمة هي التي أدت إلى ظهور الثورات العربية والربيع العربي الذي نعيشه الآن.

ومن المشكلات التي تواجه الفكر العربي المشكلة الأخلاقية، وتتمثل في فساد القيم واختلاف المعايير وتضارب الغايات، وأيضا المشكلة الاقتصادية من ناحية الفقر المدقع، وضعف الزراعة، والجهل في الصناعة، وإهدار الثروات، فالحكام العرب لم يهتموا بإنشاء مراكز للبحث

---

(26) رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص191.

(27) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، ص231.

(28) المرجع السابق، ص127.

(29) علي بو ملحم: أزمة الفكر العربي، ص12.

العلمي، ولا مختبرات يحشدون فيها المواهب والطاقات والكفاءات العلمية.إن التقنية العلمية هي أساس المدنية الحديثة، وهي سبب التفوق الاقتصادي والعسكري والسياسي للأمم التي تمتلكها، أو سبب ضعف الأمم التي تفتقر إليها.

ويري الجابري أنه لابد من مراجعة المفاهيم والتصورات والقضايا التي ينهض عليها الفكر المعاصر وإعادة بناء تلك المفاهيم والتصورات والقضايا التي ينهض عليها الفكر المعاصر، ويمكن إرجاع تلك القضايا إلى ست هي: قضية الهوية، والدين والدولة، وقضية الديمقراطية، والقضية الاجتماعية، والقضية الثقافية، والقضية القومية، وهو ما يراه حرب أيضا أن الواقع العربي يفرض علينا أن نغير مفاهيمنا لكل مفردات وجودنا[30].

❖ **قضية الهوية:**

يختزل الجابري قضية الهوية في السؤال التالي: أيهما يجب أن يكون المحدد الأول لهوية سكان هذه المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ومن الصحراء الكبرى إلى البحر المتوسط : العروبة أم الإسلام؟

وبعد أن يستعرض حجج العروبيين الذين يقولون إن العرب مادة الإسلام وأن الإسلام عربي الانتماء، ثم حجج الإسلاميين الذين يرون أن الشعوب الأخرى ساهمت في الفتوحات والحضارة الإسلامية يري الجابري أن "كل واحدة من هاتين الأطروحتين محقة فيما تثبت وغير محقة فيما تنفي"، وهو يعني بذلك أن هذه القضية من النوع الذي لا يُحَلّ بالإثبات والنفي، ولا يخضع لمنطق ثالث.

❖ **قضية الدين والدولة:**

ينظر الجابري إلى هذه القضية من ثلاث نواح هي: مقولة الصحوة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، والعلمنة؛ فنري الجابري ينتقد تعبير "الصحوة الإسلامية" الذي شاع في الخطاب العربي، ويراه غريبا على القاموس الإسلامي لأنه مجرد ترجمة لما يقابله في اللغات الأوربية؛ استعملته الصحف الغربية لوصف الحركات الإسلامية المعاصرة، وهو يُؤْثِرُ عليه كلمة "**تجديد**" لأنها أصيلة في تراثنا وذات بُعد أعمق وأدوم.

أما بالنسبة للعلمانية أو فصل الدين عن الدولة فيري الجابري أنه لم يكن في التاريخ الإسلامي فصل بين الدين والدولة، وليس ثَمَّ ما يثبت أن النبي كان يهدف إلى إنشاء دولة، كما أن القرآن لا يتضمن نصا على إنشاء دولة، ويقول الجابري: إن العلمانية مشكلة مزيفة لأنها تغطي مشاكل الحاضر وتقفز عليها وتحل مكانها هذه المشاكل الحاضرة وهي انعدام الاستقلال

(30) محمد خالد الشياب: رؤى فلسفية في الفكر العربي المعاصر، ص171.

والعقلانية. إن الوطن العربي يحتاج إلى الاستقلال في إطار هوية قومية واحدة، ويجب استبعاد شعارات العلمانية من قاموس الفكر القومي العربي والاستعاضة عنه بشعاري الديمقراطية والعقلانية[31].

وأنا لا أوفق الجابري على قوله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يهدف إلى إنشاء دولة فإن مَن يقرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلع على الأعمال والتدابير التي قام بها لتنظيم شؤون الجماعة الإسلامية في المجالات العسكرية والاجتماعية والاقتصادية يجدها تدل على أنه كان يعمل على تأسيس دولة في المدينة أولا ثم في سائر أنحاء الجزيرة العربية ثانيا، والشريعة التي تضمنها القرآن الكريم هي منظومة قوانين بكل معني الكلمة.

❖ **قضية الديمقراطية:**

إنَّ الذين يطالبون بالديمقراطية في الوطن العربي فئة قليلة يشكلون في نظر الجابري نخبة عصرية؛ فهم الذين احتكوا بالغرب الليبرالي ثقافيا واقتصاديا وسياسيا، ويبدو أن هذه النخبة تشكو من عيب هو غياب العلاقة العضوية بينها وبين جماهير الشعب في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، أما النخبة التقليدية المتمثلة في رجال الدين فأقرب إلى الشعب من النخبة العصرية لكنها تريد الشورى لا الديمقراطية.

والجابري يرى أن الديمقراطية تكونت في أوربا من خلال الصراع ضد الحاكم المستبد، أما الوطن العربي فلم يعرف الصراع من أجل الحد من سلطة الحاكم المستبد، والديمقراطية تعني في رأي الجابري عدة أمور أولها: مشاركة الشعب في الحكم، وثانيها: التعددية الحزبية، وثالثها: الولاء للعقيدة بدل الأشخاص، والديمقراطية لم تتحقق حتى اليوم في الوطن العربي والحكام المستبدون يعملون على تزييفها، كما يلاحظ أن التيار القومي العربي الذي بلغ ذروته في الخمسينيات قد أخفق في تحقيق أهدافه في التحرر والوحدة، وهذا ما مهد الطريق لظهور المد الإسلامي إلى أن بلغ أوجه بانتصار الثورة الإسلامية في إيران[32].

❖ **القضية الاجتماعية:**

يحصر الجابري القضية الاجتماعية في الفوارق الطبقية والاستغلال والفقر، والحل الذي يقترحه الجابري هو تأميم الدولة، وهذا التأميم يقتضي أولا: فك ارتباط الدولة مع فئة المقاولين ورجال الأعمال الذين يمتصون فائض القيمة بالتعاون مع الحكام، وثانيا: فك ارتباط الدولة مع القوى الإمبريالية العالمية، ثالثا: انتقال السلطة إلى أيدٍ أخرى تعمل لصالح العمال.

---

(31) علي بو ملحم: أزمة الفكر العربي ، ص30.

(32) نفس المرجع، ص32.

❖ **القضية الثقافية:**

يـرى الجـابري أن ثقافـة الماضـي أورثـت العـرب مشـاكل ينبغـي حلـها أولا لأنهـم بـدونها لا يستطيعون حل مشاكل الحاضر والمستقبل؛ فالماضي السياسي ما زال مسيطرا على نفوسهم، وهم ما زالوا يتقاتلون بدوافع ترجع إلى ذكريات الماضي، **أما** الحل - من وجه نظره - فهو بإعادة تأسيس الثقافة في وعيهم وإعادة بنائها كتراث لهم يحتوونه بدل أن يحتويهم، ثم بإعادة كتابه التاريخ الثقافي بروح نقدية، وبتوجيه طموحاتهم في التقدم والوحدة، وسيتضح هدفه ذلك أكثر مع بيان أعماله في الفصول القادمة ومدى سيطرة هذه الفكرة على كتاباته.

والتخطيط لثقافة المستقبل يقتضي اقتران الثقافة بالعلم والعلم بالثقافة، وهذا الأمر لم يحدث في مجتمعنا العربي، ويظهر ذلك جليا في التناقض الصارخ بين ثقافة الإنسان العربي والعلم العصري المتمثل بالتقنيات والآلات الحديثة، مما يدل على أن جامعتنا تلقن علما دون ثقافة.

❖ **القضية القومية**:

يتفق كل من الجابري وحرب على أنَّ فكرةَ الوحدة العربية التي بشَّرَ بها بعض المفكرين غَدَت بحاجة إلى تجديد، كما يرى أنها لم تفشل رغم النكسة التي حلت بها، وأنها أدت وظيفتها التاريخية خلال القرن المنصرم وهي استقلال الأقطار العربية وإنشاء الدولة القُطرية التي تعتبر الشرط الموضوعي لتحقيق الوحدة، وقد أُنجزت تلك المهمة بقيام دول قطرية في المغرب والمشرق، ولم تبق سوي فلسطين، والخطوة التالية ستكون الاتجاه نحو الوحدة، وعلى هذا الأساس ينتهي الجابري إلى وضع ثلاثة شروط لتحقيق الوحدة العربية: الأول: التخلي عن الوحدة الاندماجية، الثاني: العمل على ديمقراطية الفكرة القومية، الثالث: بناء الوحدة على عقد يبنى على الاختيار الحر الديمقراطي بين الدول القُطرية[33].

إن أهمَّ شرط أغفله مفكرانا هو تنمية الوعي القومي لدى الإنسان العربي؛ فهذا الوعي يعاني من اللبس والتزييف، وقد عملت على إضعافه قوى عديدة ودعوات إسلامية تغلّب الهوية الدينية على الهوية العربية، وحركات ماركسية تنادي بالأممية وتحارب الفكرة القومية، وأبحاث استشراقية تطعن في الأصالة التراثية وتشكك في القيم العربية، وأدعياء يدّعون العروبة بلسانهم ويعادونها بأفعالهم، بالإضافة إلى العوائق الخارجية التي تتمثل في إسرائيل والدول الغربية.

(33) علي بو ملحم: أزمة الفكر العربي ، ص38.

الـخاتـمة

1- ان النقد الحديث والمعاصر عرف مجموعة من المناهج النقدية وذلك بفضل الثقافة والترجمة والاحتكاك بالغرب .

2- الفكر العربي الحالي هو نتيجة رواسب وامكانات مكبوتة تراكمت تاريخياً وتداخلت فيها الجاهلية مع الثورة الإسلامية .

3- إن الفكر العربي في جانبه الغربي يشمل كل ما هو عربي صرف : عربي , عربي يهودي – عربي مسيحي – عربي بمعتقدات وأفكار ومعارف أخرى ويشمل ما هو عربي تطور عبر العصور الإسلامية والعصور الوسطى خاصة .

4- إن الفكر العربي وكونه معاصراً يدل على أن الفكر متغير ومتطور تاريخياً وباستمرار عبر العصور .

5- إن هناك العديد من التيارات في الفكر العربي المعاصر أي تيارات قبل المنهج النقدي منها :

أ- التيار العقلي الإصلاحي .ب - التيار العقلي الليبرالي .ج - التيار العقلي العلماني .

6- إن الفكر المعاصر ينهض بست قضايا : هي قضية الهوية , والدين والدولة , وقضية الديمقراطية , والقضية الاجتماعية , والقضية الثقافية , والقضية القومية .

المصادر والمراجع

أولاً / المراجع العربية :

1.ابن منظور : لسان العرب تحقيق , عامر أحمد حيدر , دار الكتب العلمية بيروت , 2003 .

2.إدريس هاني : ماوراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر , مؤسسة الانتشار العربي بيروت , 2009 .

3. حسن حنفي : حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر , بيروت 2000 .

4. حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر , بحث استطلاعي اجتماعي , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت 2008 .

5.. رفاعة الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز , تقديم أبو غازي الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2010 , المرشد الأمين للبنات والبنين .

6. صالح جواد الكاظم : دور المفكر العربي في صنع التاريخ , ضمن كتاب قضايا إشكالية في العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , المجمع العلمي العراقي , 1995 .

7. طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر , القاهرة 1938 .

8.عبدالملك مرتاض : الكتابة التحليلية بين التراث والحداثة والتأسيس , القاهرة , 2007 .

9. ـــــــــــــ: نظرية التفويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس) القاهرة , 1999 .

10. علي أبوملحم : أزمة الفكر العربي المعاصر , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , بيروت 2000 .

11. علي حرب : نقد الحقيقة , المركز الثقافي العربي , بيروت 1993 .

12. فضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث , المركز الثقافي العربي , بيروت , 1994 .

13. محمد لخضر زبادية : من أعلام النقد العربي الحديث والمعاصر دراسة في المنهج , دار غريب , القاهرة , 2007 .

14. محمد وقيدي : ماهي الابستمولوجيا , دار الحداثة للطباعة والنشر , بيروت , 1983 .

15. محمد عزت عبدالموجود (وآخرون) : أساسيات المنهج وتنظيماته , دار الثقافة للطباعة , القاهرة , 1981 .

16.محمد عابد الجابري : نقل العقل العربي , ج 1 , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ط 1 , 1994 .

17. محمد عبده : الأعمال الكاملة ، تحقيق : محمود عمارة , دار الشروق بيروت , 2006 .

18. محمود قاسم : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الاكويني،مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , 1990

19. مصطفى عبدالغني : زكي نجيب محمود , مكتبة الانجلو , 2002 .

20. هشام فصيب : العقلانية العلمية وتحديث الخطاب الثقافي العربي , الأردن , 2009 .

ثانياً / المراجع الأجنبية :

1- AL.Azm. SJ : thought . by journal of Palestine studies 1997 .
2- Anouarabdel – malek cotemporary arab political thought , trnsleted by Michael pallis London 1983.

3- Irene Rime makary : Encyclopedia of contemporary li terarg theory : Approaches , canade , 1993 .
4- IssaJ.Boullata : trends and Jssues in contemporary Arab thought state university of new York press , 1990 .
5Kassabelizabethsuzanne : contemporary Arab thought : cultural critique in comparative prespectivecolumbia university , 2010 .
6- Michele F .sciacca : philosophical trends in the contemporary world London , 2003.
7- Wajih J .saadeh : History of Arab thought , london , 1986 .

ثالثا / الدوريـــــات :

1- عبدالملك مرتض : الكتابة التحليلية بين التراث والحداثة المجلة العربية للثقافة , العدد 24 السنة 1993 .